



إن أعظم عبرة لازال يصبح بها العقلاء لفصالـل سورـيا هي "عبرـة العـراقـ" ، ولو نـطقـ التـارـيخـ لـصـاحـ معـهـمـ بـأـعـلـىـ صـوـتهـ: هـاـ أـنـاـ أـعـيـدـ فـيـكـ تـجـرـيـةـ العـراـقـ بـكـلـ مـآـسـيـهاـ، وـأـدـواتـهاـ بـلـ إـمـعاـنـاـ فيـ إـقـامـةـ الـحـجـةـ أـعـيـدـهاـ بـنـفـسـ الـفـكـرـ وـالـمـشـرـوـعـ وـالـفـصـيـلـ!ـ.

إنـ الـذـيـ لاـ يـعـرـفـ التـجـرـيـةـ الـعـراـقـيـةـ إـبـانـ الـغـزوـ الـأـمـرـيـكـيـ، وـماـ جـرـىـ لـفـصـائـلـ فيـ تـلـكـ الحـقـبـةـ يـظـنـ أـنـ الـمـبـالـغـاتـ وـالـتـهـوـيلـ وـأـطـرـ التـجـرـيـةـ الـعـراـقـيـةـ لـتـرـاكـبـ التـجـرـيـةـ السـورـيـةـ هوـ سـبـيلـ دـعـاةـ "ـالـاعـتـبـارـ"ـ لـغـرضـ فـصـيـلـ بـعـينـهـ يـعـتـبـرـهـ منـاصـرـوـهـ وـقـوـدـ الثـوـرـةـ السـورـيـةـ!ـ.

دعـونـاـ نـرمـيـ كـلـ هـذـهـ الدـعـاوـيـ وـالـتـجـارـبـ خـلـفـ ظـهـورـنـاـ وـنـقـدـ أـمـامـ التـارـيخـ "ـالـمـعـاـصـرـ"ـ لـيـخـبـرـنـاـ وـهـوـ شـاهـدـ عـيـانـ عـدـلـ لـاـ يـقـولـ إـلـاـ مـاـ وـقـعـ، وـلـاـ يـشـهـدـ إـلـاـ بـمـاـ جـرـىـ، وـلـيـسـ لـهـ مـنـ التـكـهـنـاتـ فـيـ قـابـلـ الـأـيـامـ وـلـاـ التـحـلـيـلـاتـ بـمـصـيرـ التـجـارـبـ كـبـيرـ أوـ صـغـيرـ.ـ هـاـ نـحنـ آنـ نـسـتنـطـقـ التـارـيخـ لـيـحـدـثـنـاـ عنـ مـسـارـهـ فـيـ الـعـراـقـ فـيـسـتـهـلـ مـتـحـدـثـ!ـ كـنـتـ شـاهـدـ عـيـانـ وـمـوـتـقـ حـدـثـ عـنـدـمـاـ هـجـمـ الـأـمـرـيـكـيـ عـلـىـ الـفـلـوـجـةـ، وـصـبـوـاـ عـلـيـهاـ حـقـدـمـ الـصـلـيـبيـ، فـتـدـاعـيـ الـمـسـلـمـونـ لـنـصـرـتـهـاـ وـإـغـاثـةـ أـهـلـهـاـ، فـخـرـجـ رـجـلـ يـقـالـ لـهـ:ـ أـحـمـدـ فـاضـلـ الـخـالـيـلـ اـشـتـهـرـ بـكـنـيـتـهـ "ـأـبـوـ مـصـبـعـ الزـرـقاـويـ"ـ وـهـوـ يـتـبعـ لـتـنـظـيمـ الـقـاعـدـةـ، فـطـافـ بـفـصـائـلـ الـعـراـقـيـةـ وـزـوـقـ لـهـ الـكـلـامـ وـحـسـنـهـ فـيـ التـوـحـدـ تـحـتـ مـسـمـيـ وـاحـدـ يـرـمـيـ دـونـهـ مـسـمـيـ كـلـ فـصـيـلـ وـيـخـتـارـ لـهـ قـائـدـ وـاحـدـ تـبـعـهـ الـفـصـائـلـ، وـبـعـدـ حـمـلةـ إـعـلـامـيـةـ فـيـ الـمـنـتـديـاتـ وـالـمـوـاـقـعـ إـلـكـتـرـوـنـيـةـ وـتـحـتـ ضـغـطـ الـوـاقـعـ مـنـ تـدـمـيرـ الـفـلـوـجـةـ وـلـدـ "ـمـجـلـسـ شـورـىـ الـمـجـاهـدـيـنـ"ـ عـامـ 2006ـ وـالـمـكـونـ مـنـ 7ـ فـصـائـلـ فـقـطـ، وـاشـتـهـرـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ أـنـهـاـ الـفـصـائـلـ الـفـاعـلـةـ فـيـ الـمـقاـومـةـ الـعـراـقـيـةـ، وـاـخـتـيرـ الـزـرـقاـويـ لـيـكـونـ أـمـيـرـاـ عـلـىـ هـذـهـ التـوـحـدـ الـجـدـيدـ فـكـانـتـ قـيـادـةـ الـقـاعـدـةـ فـيـ خـرـاسـانـ هـيـ أـوـلـ الـمـبـارـكـيـنـ لـهـ وـالـدـاعـيـنـ لـلـانـضـمـامـ إـلـيـهـ!ـ يـتـوقفـ التـارـيخـ بـرـهـ لـيـكـملـ حـدـيـثـهـ قـائـلـاـ:ـ بـدـأـتـ عـمـلـيـاتـ الـاغـتـيـالـ لـكـوـادـرـ بـقـيـةـ الـفـصـائـلـ الـعـراـقـيـةـ الـتـيـ لـمـ تـنـضـمـ لـمـجـلـسـ شـورـىـ

المجاهدين، وبدأت تتفكك فصائلهم، ثم يُرسل لأفراد تلك الفصائل بعض شرعبيه مُرغَّبين ومُرهَّبين للانضمام إليه بدعوى أنه أمل الساحة الوحيد!.

تضخم مجلس شورى المجاهدين من سلب الفصائل الصغيرة سلاحها، وبعد حين بدأت الاغتيالات تطال قادة مجلس شورى المجاهدين ممن لا ينتهي فكر القاعدة، فلم يعد عام واحد إلا لون السواد يكسو المجلس !

يسترسل التاريخ في شهادته على تلك الحقبة قائلاً: قُتل الزرقاوي فتأمّر على المجلس رجل يقال له: حامد داود الزاوي اشتهر بكنيته "أبو عمر البغدادي" فكان أول أعماله أن أنشب الحرب الإعلامية على العشائر والفصائل التي لها أجنحة سياسية، تخوينا واتهاماً ثم هجم عليها للاستيلاء على سلاحها بتهمة الخيانة والرضى بالديمقراطية والسير في أجندات الغرب، فاستطاعت العشائر الدفاع عن نفسها، ووقعت الفصائل في جدل شرعي في حكم القتال البياني والعدو يستبيح الأرض والعرض، فتفرقوا إلى أقوال؛ فمن قائل إن الدفاع عن النفس بحمل السلاح ضد مجلس شورى المجاهدين فتن، وإن عبد الله المقتول خير من القاتل، وقائل: ندفع الشر بأدنه المفسدين وهي ترك المناطق للمجلس حتى لا تُراق الدماء بين المجاهدين!. يتوقف التاريخ عن الحديث وهو مطرق الرأس متفكراً ثم يستمر قائلاً: أصبح لمجلس شورى المجاهدين مناطق حكم ذاتية لا يدخلها المجاهدون إلا خفية، ولا المدنيون إلا بعد امتحان على نقاط التفتيش التي تنتشر على مداخل تلك المناطق. عندها أعلن أبو عمر البغدادي عن أكبر كارثة مرت في هذا العصر؛ وهي التي تذوقون اليوم بعض ارتداداتها = دولة العراق الإسلامية. وسرعان ما باركت قيادة القاعدة في خراسان هذه الدولة، وزعمت أنها مستوفية لشروط البيعة، ويجب مبايعة أميرها البغدادي كأمير للمؤمنين، فرفضت العشائر والفصائل تلك البيعة والافتياط عليهم وعلى العراقيين بأمر كهذا، فخرج حينها بعض الشرعيين بشعار "حلف المطيبين" لإلزام الناس بهذه البيعة سبيلاً للتوحد وكامل وحيد للخلاص من واقع الفصائل المتشرذم، فҳسدو لذلك كل دليل شرعي وعقلي يوجب تلك البيعة، وبعد إعدار الشرعيين بفتواهم، ورفض العشائر والفصائل لحلف المطيبين، خرجت دولة العراق الإسلامية تضرب وجوه الناس بالسيوف، ومقراتهم بالمخخات تحت دعوى الإجبار على توحيد الصف لمقاومة العدو المحتل!.

هنا يقف التاريخ عن الحديث ويولينا ظهره، ويتركنا لذاكرتنا القريبة التي تخزل ما ذاقه أهل العراق من تجربة مجلس شورى المجاهدين الذي تطور إلى دولة العراق الإسلامية، ثم دولة الإسلام في العراق والشام، ثم الخلافة الإسلامية!. نعم أيها السادة فإن مشروع القاعدة في سوريا هو تكرار لمشروعها في العراق، فجيشه فتح ثم مناطق حكم ذاتي ثم اندماج بيطلع الفصائل ثم إعلان إمارة ثم مقاتلة كل من لا يبايع!.

تأملوها وسترون أن مجلس شورى المجاهدين هو نفسه جيش الفتح، وأن مشروع مناطق الحكم الذاتي هو ما تستولي عليه فتح الشام الآن من مناطق، وأن حملات التخوين التي تطال بعض الفصائل والقادة هو تمهد للتمدد وتوسيع نفوذ الإمارة المرتقبة، وأن دعاوى الاندماج الأخير هي لابتلاع الفصائل خارجه ثم التفرغ للفصائل المؤسسة له، وأن الاندماج الذي يسوقه بعض "الشريعين" هو نفسه مشروع "حلف المطيبين" وقد صدر بلغة: الترغيب والترهيب!.

وصدق من قال: التاريخ لا يعيد نفسه كما يشاء لكن الإنسان يكرر غيائه.

وأصدق من ذلك وأعظم قول رب العزة والجلال: **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذْانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ.**

المصادر: